ثم مباحث الهدى والضلالة والأرزاق والآجال ونحو ذلك جعلوها بالعدل فصلوها وسموها فصل تفاريع
الأفعال لابتنائها على مباحث خلق الأفعال من أن الله خالق كل شيء وأنه [illegible] وفعله وأنه في الخلق
قوله المبحث الأول الهدى قد يكون لازما بمعنى الاهتداء أي وجدان طريق يوصل إلى المطلوب
ويقابله الضلال أي فقدان الطريق الموصل وقد يكون متعديا بمعنى الدلالة على الطريق الموصل وإلى هذا
الإسم ويقابله الإضلال بمعنى الدلالة على ضلاله فمثل أضل فلان عن الطريق وقد يستعمل الهداية في معنى
الدعوة إلى الحق كقوله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم أي دعوناهم إلى
طريق الحق فاستحبوا العمى على الهدى وبمعنى الإثابة كقوله تعالى في صفة المهاجرين والأنصار سيهديهم ويصلح
بالهم وقيل بمعنى الإرشاد في الآخرة إلى الطريق الجنة ويستعمل الإضلال في معنى الإضاعة والإهلاك
كقوله تعالى فلن يضل أعمالهم ومنه أئذا ضللنا في الأرض أي هلكنا وقد يسند إلى [illegible] مجازا إلى الأسباب
كقوله تعالى إن هذا القرآن يهدي وكقوله تعالى حكاية رب إنهن أضللن كثيرا وهذا كما [illegible] كثير
وإنما الكلام في الآيات المشتملة على [illegible] بالهداية والإضلال والطبع على قلوب الكفرة
والختم والمد في طغيانهم ونحو ذلك كقوله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
[illegible] ولكن الله يهدي من يشاء فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل [illegible] أتريدون أن تهدوا من أضل الله فسبک
يضل من يشاء ويهدي من يشاء يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ختم الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم
وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ويمدهم في طغيانهم [illegible] الإيمان و
الاهتداء والكفر والضلال بناء على ما مر من أنه الخالق [illegible] والمعتزلة بناء على أصلهم الفاسد
أنه لو خلق فيهم الهدى والضلال لما صح منه المدح والذم والثواب والعقاب فحملوا الهداية على الإرشاد
إلى الطريق الحق بالبيان ونصب الأدلة أو الإرشاد في الآخرة إلى طريق الجنة والإضلال على الإهلاك
والتعذيب أو التسمية والتلقيب بالضال أو الوجدان ضالا ولا خفاء على المنصف أن بعض هذه المعاني
لا يقبل التعليق بالمشيئة وبعضها لا يخص المؤمن دون الكافر وبعضها ليس مما [illegible]
دون المصلح وبعض معاني الإضلال يقابل الهداية فحملوا الهداية على الدلالة الموصلة إلى
النعيم والإضلال على أنه فعل الشيطان مسند إلى الله مجازا لما أنه بإقداره وتمكينه [illegible]
بواسطة ضرب المثل يضل به كثيرا وبواسطة الفتنة [illegible] والتكليف [illegible]
ونحن نقول بل الهداية هي الدلالة على الطريق الموصل سواء كانت من [illegible] والعدول إلى المجاز إنما هو

أي على الاهتداء صح

للتي هي أقوم صح

من يشاء صح

والذم صح

عند

عند تعذر الحقيقة ولا تعذر وبعض المواضع مشكل إذ الهدى يشهد للمؤمن بأن [illegible] الهداية والإضلال
إلى الله ليس إلا بطريق الحقيقة والله الهادي قوله المبحث الثاني اللطف والتوفيق خلق
قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية والعصمة من التوفيق بعينه فإن عممت كانت توفيقا
عاما وإن خصصت كانت توفيقا خاصا كذا ذكره إمام الحرمين وقال الموفق لا يعصي إذ لا قدرة له وبالعكس
ومبناه على أن القدرة مع الفعل وليست صالحة للطرفين على السواء وأصحابنا من قال العصمة
لا يخلق الله تعالى في العبد الذنب وقال الفلاسفة ملكة تمنع الفجور مع القدرة عليه وقيل خاصية في نفس
الشخص أو بدنه يمتنع بسببه صدور الذنب عنه ورد بأنه حينئذ لا يستحق المدح بترك الذنب ولا الثواب
عليه ولا التكليف به وفي كلام المعتزلة أن اللطف ما يختار المكلف عنده الطاعة تركا أو إتيانا أو
يقرب منهما مع تمكنه في الحالين فإن كان مقربا للواجب أو ترك القبيح سمي لطفا مقربا وإن كان
محصلا له فلطفا محصلا ويخص المحصل للواجب باسم التوفيق والمحصل لترك القبيح باسم العصمة
ومنهم من قال التوفيق خلق لطف يعلم الله أن العبد يطيع عنده والخذلان منع اللطف والعصمة
لطف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة ولا إلى ارتكاب المعصية مع القدرة عليهما واللطف هو الفعل
الذي يعلم الله تعالى أن العبد يطيع عنده قوله المبحث الثالث الأجل في اللغة الوقت وأجل
الشيء يقال لجميع مدته ولآخرها كما يقال أجل هذا الدين شهران أو آخر الشهر وقد [illegible]
قضى أجلا وأجل مسمى عنده بعضهم بأجل الموت وأجل القيامة وبعضهم بما بين أن يخلق إلى الموت وما
بين الموت والبعث ثم شاع استعماله في آخر مدة الحياة ولذا يفسر بالوقت الذي علم الله بطلان حياة
الحيوان فيه ثم من قواعد أهل السنة أن المقتول ميت بأجله أي بوقته كائن في الوقت الذي علم الله زوال
حياته فيه بإيجاد الله تعالى من غير صنع للعبد مباشرة ولا توليدا وأنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك
الوقت وأن لا يموت من غير قطع بامتداد العمر ولا بالموت بدل القتل وخالف في ذلك طوائف من
المعتزلة فزعم الكعبي أنه ليس بميت لأن القتل فعل العبد والموت لا يكون إلا فعل الله تعالى وكأنه مفعول
وأثر صنعه ورد بأن القتل قائم بالقاتل حال في المقتول وإنما الموت زهاق الروح الذي هو
بإيجاد الله تعالى عقيب الفعل بطريق جري العادة وكأنه يريد بالقتل المقتولية وبطلان الحياة
[illegible] ويخص الموت بما لا يكون على وجه القتل [illegible] فإن مات [illegible] وقتل [illegible]
وأن المعنى مات حتف أنفه وإن مجرد بطلان الحياة موت [illegible] أن للمقتول [illegible]
أحدهما فعل القاتل وموته [illegible] فعل الله وزعم الكثير منهم أن القاتل قد قطع عليه الأجل وأنه لو لم يقتل